الدرس الحادي عشر

سفر صفنيا

هل يوم الرب قريب؟

مقدمة

يحمل سفر صفنيا اسم النبي الذي كتبه، (بالعبرية צְפַנְיָה). ويعني اسمه *"الربُّ قد خزن، أو الرب قد أخفى"*. ونحن نعلم من 1: 1 أنه خدم أثناء حكم يوشيّا، ملك يهوذا. وقد حكم يوشيّا ما بين 641/40–609 ق م.[1] ونفهم من الإشارة التاريخية إلى نينوى في 2: 13 أن نينوى لم تكن بعد قد دمّرت. وهذا يدعونا إلى الاستنتاج أن سفر صفنيا كُتب قبل 612 ق م. وما عدا ذلك، فإن يصعب علينا أن نعرف في أية فترة من حكم يوشيا كتب صفنيا سفره. تقول 2 أخبار 34: 3 إن يوشيا بدأ يطهر البلاد من الشر وعبادة الأوثان في السنة الثانية عشرة من حكمه (629/28 ق م). وفي سنته الثامنة عشرة (623/22 ق م)، عُثر على سفر الشريعة، مما أدّى إلى بذل جهود إصلاحية. ويرى بعض الباحثين أن صفنيا كتب بعد الإصلاحات التي أدخلها يوشيّا عام 622ق م، عندما بدا واضحاً أن الإصلاح لم يكن إلا شكلياً، وأن كثيرين استمروا في عباداتهم للأوثان. غير أن هذا أمر لا يمكن إثباته. وعلى أية حال، فقد كُتب سفر صفنيا في وقت كانت العبادة الوثنية للأمة على وشك أن تجلب عليها دينونة كارثية. وبالفعل، فإن البابليين سيأتون بعد ذلك بوقت قصير ليدمروا أورشليم والهيكل عام 586ق م، أي ليس بعد فترة طويلة من موت يوشيّا.

يوم الرب

إن أحد المواضيع الرئيسية في هذا السفر هو إعلان قرب "يوم الرب" (1: 7،14). ويوم الرب في أساسه هو وقت دينونة مخيفة من الله. ويبدأ السفر بإعلان في 1: 2–4 أن الله سيصبّ دينونته على العالم كله. وستقع هذه الدينونة الشاملة على يهوذا وأورشليم أيضاً (1: 4) وقد استخدم تعبير "عن وجه الأرض" الذي يرد مرتين في 1: 2–3 في تكوين 6: 7 و 4: 7 في ما يتعلق بدينونة الطوفان العظيم. وسيكون يوم الرب، مثل الطوفان في زمن نوح، دينونة شاملة. غير أنه سيكون أكثر رهبة من الطوفان (لاحظ أن الدمار يقع حتى على سمك البحر.).

[1] Leslie McFall, "A Translation Guide to the Chronological Data in Kings and Chronicles," *BibSac* 148:589 (Jan-Mar 1991): 45

ما هي أسباب هذه الدينونة؟ لا شك أن السفر يعكس الوضع القائم في أيام صفنيا في الفترة السابقة للاجتياح البابلي. وحسب 1: 4-6، فإنّ الممارسات الوثنية تشكّل سبباً جزئياً لتلك الدينونة. وكانت منطقة الهيكل مليئة بالعنف والخداع بدلاً من أن تكون موقعاً مقدساً مخصصاً لعبادة الرب (1: 9). ولم يعد الشعب يراعي إرشادات الرب (3: 1-2)، وأصبحت القيادتان المدنية والدينية فاسدتين تماما (3: 3-4). غير أن أحد أكثر التصريحات إدانة للشعب هو الذي يتحدث عن نظرتهم إلى الرب. فنحن نرى في 1: 12 توبيخا لمن يقولون في قلوبهم: "إن الربّ لا يحسن ولا يسئ." وبعبارة أخرى، فإنهم تبنّوا فكرة خاطئة أن الله لا يتدخل في شؤون الأمة. ولهذا فإنه لا يهم كثيراً إن فعلوا خيراً أم شراً. فبغض النظر عن كيفية سلوكهم، فإن الله لن يكافئهم أو يعاقبهم. ولسوء حظ يهوذا، كان هذا الاستنتاج كارثة، ولهذا فإن الله ينذرهم بقرب الدينونة. أما أغنياء الشعب، فلم يأخذوا هذا التحذير الإلهي مأخذ الجد، معتقدين أن مالهم يستطيع إنقاذهم من الدينونة (1: 18).

ويبرز سؤال إن كان "يوم الرب" يشير إلى الغزو البابلي القريب حين ستُدمّر أورشليم والهيكل وما سيتبع ذلك من سبي الشعب من الأرض. يوجد على ما يبدو تحقيق جزئي ليوم الرب بالدمار البابلي عام 586 ق م، إذ يؤكد صفنيا قرب دينونة الله: "قريب يوم الرب العظيم. قريب وسريع جدا" (1: 14؛ قارن 1: 7؛ حزقيال 7: 7، 10). كما ستكون هذه الدينونة شاملة، تصيب شعوباً أممية أخرى. وإن الأمثلة المضروبة في الأصحاح الثاني لتتفق جيدا مع هذه الفترة التاريخية العامة. كان البابليون وراء دمار نينوى في 612 ق م (2: 13-15)، كما جلبوا الكوارث على بلدانٍ أخرى مجاورة ليهوذا مذكورة في 2: 4-11.

ومن ناحية أخرى توجد تفاصيل توحي بأنه لا بد أن يكون "ليوم الرب" تحقيق أخروي يتجاوز كثيراً القرنين السادس والسابع ق م. فهنالك أولاً خاتمة السفر (3: 14-20) التي تصور زمناً بعد الدينونة حين يُجمَع إسرائيل ويُرَدُّ ويبارك من الرب الذي سيسكن في وسطها ملكاً (لاحظ 3: 15؛ انظر زكريا 14: 9). ثانياً، يطبّق العهد الجديد مفهوم يوم الرب على الدينونات النهائية الآتية (مثلا رؤيا 6: 17). ويخلص شنايدر إلى القول: "على الرغم من أن معاصري صفنيا فهموا 'يوم الرب' على أنه سقوط أورشليم في 587ق م، إلا أن الأجيال التالية بمن فيهم كتّاب العهد الجديد، أدركوا أن نبوءات صفنيا كانت ما تزال تنتظر تحقيقا تامّاً سيحدثه الله في نهاية العصر."[2] وهكذا تمّ تنبيه الناس في أيام يوشيّا إلى أن الدينونة قادمة كيوم الرب. وقد كان ليوم الرب هذا تحقيق جزئي مع الغزو والسبي البابليين في القرن

[2] Geoffrey W. Bromiley, ed. *The International Standard Bible Encyclopedia* (Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Pub. Co., 1979-1988), s.v. "Zephaniah, Book of," by D. A. Schneider.

السادس ق م، لكن هنالك تحقيقاً نهائياً أكمل ينتظر الحدوث في نهاية الدهر (خاصة في فترة الضيقة العظمى). والتوكيد على هذا موجود في تعليم الرسول بولس في 2 تسالونيكي 2: 1–4 الذي يقول إن يوم الرب لم يأتِ بعد (وإنه لن يأتي إلاّ بعد أن يظهر ضد المسيح).

الحث على التوبة

على الرغم من تحذير صفنيا الصارم من قرب الدينونة، فإنه وضع أمام الناس رجاء. وهذا واضح جداً في 2: 1–3:

"تجمّعي واجتمعي أيتها الأمةُ غيرُ المستحية،

قبل ولادة القضاء–

كالعصافة عبر (يعبر) اليوم–

قبل أن يأتي عليكم حمّو غضب الرب،

قبل أن يأتي عليكم يوم سخط الرب.

اطلبوا الرب يا جميع بائسي الأرض الذين فعلوا حُكْمه.

اطلبوا البر، اطلبوا التواضع.

لعلكم تُسترون في يوم سخط الرب."

يجب أن يستخلص المرء من هذه الفقرة أن هناك فترة زمنية غير محددة فيها بصيص من أمل وفرصة للعودة إلى الرب. يجب على الكبرياء أن تنزاح لتفسح مجالاً للتواضع اللازم حيث يطلب المرء الرب من كل قلبه. وبالرغم من هذا العرض الكريم، فإن قليلين هم الذين سيستفيدون من الفرصة المتاحة. وبالفعل فإن قليلين هم الذين الذين يقبلون أي إرشاد من الرب (3: 1–7).

بقيّة تقيّة

كانت الدينونة قادمة لا محالة على الأرض، لكن هذا لن يعني دماراً كلّياً لكل حياة. فالدينونة ستنزع المتكبرين وغير الأتقياء من الأرض. لكن ستنجو بقية تقية تعبد الرب. ونجد تصويراً واضحاً جداً لهذا في 3: 11–13: حيث المتكبرون سيُنزعون ويترك أشخاص وديعون يائسون يلجأون إلى اسم الرب. وهكذا فإن يوم الرب في أساسه دينونة تطهيرية يقصد منها محو الإثم من أورشليم وذلك بنزع الذين يروجّون له. وسيكون لهذا تحقيق جزئي في القرن السادس ق م مع نجاة البقية التقية من السبي البابلي وعودتها إلى الأرض. غير أن التحقيق النهائي سيأتي في نهاية العصر (حين يجد يوم الرب تحقيقه النهائي).[3]

[3] ينقل لنا كيج الخلاصة التي توصل إليها هاسل بخصوص هوية هذه البقية: "يفرّق هاسل بين ثلاث مجموعات في حديثه عن مفهوم البقية في الكتاب المقدس: فهناك البقية التاريخية (الناجون من كارثة)، والبقية الأمينة (الذين يتميّزون عن المجموعة السابقة باتكالهم الحقيقي على الله)، والبقية الأخروية (الذين يمرّون بالدينونات التطهيرية في أواخر الأزمنة ويخرجون منتصرين بعد يوم

أبدع جريج كنج في وصف ميزات هذه البقية التقية. فهو يلاحظ: "أولاً، أن البقية تتألف من أشخاص مكرّسين بالكامل ليهوه، وثانياً، أن البقية تتألف من أشخاص أبرار وذوي خلق في تفاعلهم وتعاملهم مع الآخرين."[4]

مكرسون بالكامل ليهوه

1. يطلبون الرب (2: 1–3) بدلاً من عبادة البعل والأجرام السماوية وأشياء أخرى (1: 4–6).
2. يطيعون وصاياه وفرائضه (2: 3؛ على نقيض 17:1).
3. يتّصفون بالتواضع (2: 5 ؛ 3: 12) بدلاً من التكبر وتمجيد الذات (2: 15؛ 3: 11).
4. لم يضعوا آمالهم في الثروة المادية (3: 12؛ على نقيض 1: 18).

أبرار وذوي خلق في تعاملهم مع الآخرين

1. لا يظلمون (13:3).

يوضح كنج بحكمة أن نفس التعبير مستخدم في 3: 5 مطبّقاً على الرب. وهو يخلص إلى أن "ممارسات البقية ليست بارّة فحسب، بل هي توصف أيضاً على أنها صفات تتمثّل في يهوه. ففي تعامل البقية مع الآخرين، عليهم أن يتمثلوا بالرب."[5]

2. هم صادقون – لا يتعاملون بالأكاذيب (3: 13).

اتجاه الخلاص الأخروي

توحي حقيقة وجود بقية تقية بأن هناك من ينجون من دينونة الرب. ومع حلول يوم الرب النهائي، سيكون هنالك من يشكّلون بقية أخروية – يبقون ليختبروا الخلاص الذي حققه الرب. وممّا لا شك فيه أن هذا الخلاص الأخروي مرتبط بعودة المسيح. وحسب صفنيا 3: 15 ستحيا البقية لترى الوقت الذي سيسكن فيه الرب في وسطها كملك إسرائيل. وهذا وعد موازٍ لزكريا 14: 9. كما تتأكد الطبيعة الأخروية لهذا المشهد في الآية النهائية من السفر (انظر 7:2). يقول الرب للبقية 3: 20:

الرب بصفتهم ورثة الملكوت الأبدي)" [The Remnant in Zephaniah," *Bibliotheca Sacra* 151:604 (Oct-Dec 1994): 427; cf. Gerhard F. Hasel, *The History and Theology of the Remnant Idea from Genesis to Isaiah*, 3rd ed. (Berrien springs, MI: Andrews University Press, [1980): 130)

[4] كنج – 417.

[5] المرجع السابق، 420.

"في الوقت الذي فيه آتي بكم وفي وقت جمعي إياكم، لأني أصيّركم اسماً وتسبيحةً في شعوب الأرض كلها، حين أردّ مسبيّيكم (ثروتكم) قدّام أعينكم، قال الرب".

إن شروط الجمع ورد الثروات مأخوذة من تثنية 30: 3-5 حيث كشف الله عن خطته لخلاص إسرائيل. وهكذا فإن هذا يتطلع إلى زمن ستُجمع فيه إسرائيل وتُرَد، ويتم إدخالها في العهد الجديد (لاحظ أن تثنية 30 تتطلع إلى قلب مختون). وهكذا فإن فرح صفنيا 3: 14-20 مرتبط بذلك الوقت التالي لدينونة الضيقة حين يكون الرب يسوع المسيح قد عاد وأسس ملكوته الألفي على الأرض.

ويبيّن جريج كنج أنه كان في ذهن صفنيا كلا الهدفين – الحاضر والمستقبل – عندما كتب عن يوم الرب:

"كان الهدف الحاضر تحفيز شعب إسرائيل على الانشغال القلبي في عبادة يهوه والقيام بممارسات أخلاقية بارة. وفي ما يتعلق بعبادة يهوه، فإن صفنيا 1: 4-6 توحي بأن العبادة المكرسة القلبية المقصورة على يهوه هي وحدها العبادة المقبولة.....

وفي ما يتعلق بالهدف المستقبلي ليوم الرب، فقد كان صفنيا يشير إلى قيام يهوه بتأسيس ملكوته على الأرض"[6]

غير أن صفنيا يذهب إلى أبعد من ذلك. فهو يقول إن زمن بركات الحكم الألفي لن يقتصر على بقية إسرائيل. إذ يضيف في 3: 9-10 الفكرة المتبصرة أن هنالك أمماً سينجون من الدينونة لينضمّوا إلى عابدي الرب.

[6] Greg A. King, "The Day of the Lord in Zephaniah," *Bibliotheca Sacra* 152:605 (Jan-Mar 1995): 32.